قضية التنزيه ومسألة الرؤية

اتفق أهل السنة على جواز الرؤية وإمكانيتها ، وكانت لهم فى ذلك أدلة عقلية وسمعية عديدة [١] . وهى بعيد عن الحسية أو التشبيه والتمثيل والتخييل .

يمكن تسمية دليل الرؤية هو دليل الوجود ، فكل ما لا تصح رؤيته لا يتقرر وجوده كالعدم ، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته ، كسائر الموجودات والله ، عز وجل ، موجود فإذاً يجوز رؤيته [٢] . وهو تصور عقلى للمسألة .

يقول الجوينى : « تقرر بضرورة العقل أن الإدراك لا يتعلق إلا بالوجود ، وحقيقة الوجود لا تختلف ، فإذا رئى موجود لزم تجويز رؤية كل موجود كما أنه إذا رئى جوهر ، لزم تجويز رؤية كل جوهر ، وهذا قاطع فى إثبات ما تبغيه[٣] » . ولكن الله ليس بجوهر ، وليس بجسم فكيف قال الجوينى ذلك ؟!

ولعل الجوينى تأثر بما قاله الأشعرى فى الإبانة : مما يدل على رؤية الله ، عز وجل ، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم ، فلما كان الله ، عز وجل ، موجوداً مثبتًا كان غير مستحيل أن يرينا نفسه ، عز وجل ، وإنما أراد مَنْ نفى رؤية الله ، عز وجل ، بالأبصار التعطيل ، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحًا أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود » [٤] . وفى كلام الأشعرى غمز لمنكرى الرؤية الحسية أو نفاذ الرؤية مطلقًا .

وإثبات الرؤية عقلاً جائز : « من جهة العقول جائز ، وهى للمؤمنين فى الجنة واجب ، وكما نعرفه اليوم وليس كمثله شئ ، يراه المؤمنون غداً ، وهم فى الجنة وليس كمثله شئ » [٥] . وهذا كلام أقرب للتفويض ، وترك الأمر للقدرة المطلقة وهو صحيح .

---

(١) الجوينى : الأدلة ، ص ١٠١ – ١٠٥ .

(٢) الشهرستانى : نهاية الأقدام ، ص ٣٥٦ ، وما بعدها .

(٣) الجوينى : الإرشاد ؛ ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٤) الأشعرى : الإبانة ؛ ص ٤٢ .

(٥) الشهرستانى : نهاية الإقدام ؛ ص ٣٦٠ وما بعدها .

وحاول أهل السنة إثبات الرؤية :

١- فى الآخرة ، وهى جائزة عقلاً واجبة نقلاً .

٢- لا تقتضى الرؤية الإحاطة بالمرئى .

٣- الرؤية عيانية وليست قلبية لثبوت ذلك بالنص .

٤- أنكر المعتزلة والزيدية الرؤية بالعين فى الدنيا والآخرة .

ونفى أهل السنة أن تكون الرؤية رؤية إحاطة وإدراك : لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل انطباع ، فإن كل ذلك مستحيل» [١] . وهذا كلام غاية فى التوفيق ويصرح بحقيقة تنزيه الخالق عن مماثلة خلقه .

ومن الأدلة السمعية عند أهل السنة فى ثبوت الرؤية :

١- قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [٢] أى رائية ترى الله ، عز وجل [٣] .

نفى الله الإدراك دون الرؤية ، والإدراك والإحاطة بالمرئى دون الرؤية ، فالله يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولايحاط به علماً [٤] . وهو كلام يفرق بين الغيب والشهادة لنفى التصورات المادية عن الله .

٢- ومما يدل على أن الله ، تعالى ، يرى بالأبصار قول موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [٥] ولا يجوز أن يكون موسى ، عليه السلام ، الذى قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين ، وعصمه بما عصم به المرسلين ، قد سأل ربه ما يستحيل عليه ، وإذا لم يجز ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً ، وأن الرؤية جائزة على ربنا ، عز وجل [٦] . وهو يخالف رأى القاسم من الزيدية فى انه عصى ربه فى طلبه ذلك .

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ؛ ١ / ١١٤ .

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٣) البيهقى : الاعتقاد والهداية ؛ ص ١٢١ .

(٤) المصدر السابق ؛ ص ١٢٢ .

(٥) سورةالاعراف : آية ١٤٣ .

(٦) الأشعرى : الإبانة ، ص ٣٤ ، ٤٣٥ .

٣- قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (١) . قال أهل التأويل : النظر إلى الله ، عـز وجل ، ولـم ينعم الله ، عـز وجل ، على أهل جنانه بأفـضل من نظرهم إليـه ورؤيتهم له . وهو أمر غاية فى النعيم والسرور والبهجة وهو يشير إلى أن تغير القوانين بين الدنيا والآخرة هو الذى سمح بهذه الرؤية .

٤- روى عن رسـول الله ، ﷺ أنه قـال :«**ترون ربكم كماترون القمر ليلة البدر لا تضـارون فى رؤيتـه**» (٢) . والرؤية إذا أطلقت إطلاقًا ومُثلت برؤية العيان ، لم يكن إلارؤية العيان (٣) .

السلف وأهل السنة والصوفية يثبتون الرؤية بلا إدراك ، وهو ما يتفق مع ما ذكره القرآن أيضا من كونه تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ (٤) وألف ابن تيمية فى تعيين الحد والنهاية والحيز والمكان ، ويرى أن كل هذا لا يقتضى التشبيه والتجسيم ! (٥)

نزه أهل السنة الله عن التشبيه عند القول بإثبات الرؤية ، ولكن كان هناك من جوز رؤيته والإحاطة به كالكرامية ، وأحالوا تقدير رؤيته منزهًا عن الجهة (٦) .

هل رأى النبى ، ﷺ ، فى رحلة المعراج ؟

اتفق أهل السنة على أنه رأى جبريل ، عليه السلام ، على صورته التى خلقه الله عليها ، ونفوا الرؤية العيانية فى الدنيا ، وهو مذهب السيدة عائشة رضي الله عنها (٧) .

من الصحابة من قال بأنه رأى ربه فى الدنيا كابن عباس ، رضي الله عنهما ، إلا أن الـــرأى الغالب هو رؤيته لجبريل (٨) . وهو ما نرجحه ونعتقده لورود الأخبار عنه ، ﷺ ؛ بأن ذلك أمرًا مستحيلاً .

أنكر المعتزلة الرؤية الحسية فى الدنيا والآخرة على السواء ، واعتمدوا على أدلة عقلية

---

(١) سورة يونس : آية ٢٦ .
(٢) أخرجه البخارى ٢ / ٢٧ - ٢٨ ، وأحمد ٣ / ١٦ ، ١٧ .
(٣) الأشعرى : الإبانة ، ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٤) سورة ؛ الأنعام : ١٠٣ .
(٥) ابن تيمية : الاستقامة ؛ ١ / ١٥٨ .
(٦) الرازى : المحصل ؛ ص ١٨٩ .
(٧) الباقلانى : الإنصاف ؛ ص ١٨٦ .
(٨) القشيرى : الرسالة ؛ ٢ / ٦٦٦ .

كثيرة ، وأولوا النص تبعًا لمقتضى العقل وانتهوا إلى القول بأن الرؤية يقتضى الجسمية وهى مستحيلة على الله [١] .

إن أهل السنة يثبتون الرؤية فى الآخرة ، والآخرة لها قوانينها الخاصة : « وكما نعرفه اليوم وليس كمثله شئ ، نراه غدًا وليس كمثله شئ » [٢] .

فالقياس فى الرؤية مع الفارق ، ولا ينبغى أن تقاس رؤية الخالق على رؤية الخلق : « لأن رؤية الله لنا لم تكن بالبصر ، وكلامنا فى الرؤية البصرية » [٣] .

وكما أن الرؤية لا تقتضى التشبيه ، فإن القول بأنه لو كان مرئيًا لكان شبيهًا بالمرئيات باطل . فالرؤية فى الشاهد تتعلق بالمتضادات كالسواد والبياض والحركة والسكون ، ولا تقتضى تشبيهًا وكذلك رؤية الله ، عز وجل [٤] .

واحتج المعتزلة أيضا بأنه لو كان يرى لرأيناه فى وقتنا لارتفاع الموانع ، والتى حددوها فى القرب والبعد المفرطين والحجب الحائلة ، وخطؤهم فى تحديد الموانع فيما سبق فقط ، والرد عليهم يكون بتقدير موانع أخرى ، أقربها مانع فى الحاسة نفسها .

أما من الناحية السمعية :

١- قال تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [٦] يقول القاضى : « ووجه الدلالة فى الآية هو ما قد ثبت من أن الادراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، وثبت أنه ، تعالى ، نفى عن نفسه إدراك البصر ، ونجد فى ذلك تمدحًا راجعًا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحًا راجعًا إلى ذاته كان إثباته نقصًا ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى فى حال من الأحوال » [٧] . والسؤال له هل رؤيته لنا كمالاً أم نقصًا ؟ فإن كانت كمالاً فكيف تعد رؤية العباد له نقصًا !

---

(١) القاضى عبد الجبار : المغنى ؛ ٤ / ٥٩ وما بعدها .
(٢) الباقلانى : الإنصاف ، ص ١٨٢ .
(٣) التفتازانى : شرح العقائد النسفية ؛ ١ / ١٤١ .
(٤) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول ؛ ص ٢٤٩ .
(٥) الجوينى : الإرشاد ؛ ص ١٦٦ .
(٦) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .
(٧) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول ، ص ٢٣٣ .

لقد افترضوا أن الآية فيها ما يمنع الرؤية على وجه الإطلاق ولكن قوله ، تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [١] فيها تقييد للمطلق ، وتخصيص للعام ، فيحمل نفى الإدراك على أيام الدنيا ، أما الآخرة فلا .

شارك المعتزلة فى نفى الرؤية الخوارج والنجارية والزيدية ، وقال النجارية بشئ من الرؤية القلبية [٢] .

وبعد فهذا بحث مبسط فى عقائد أهل السنة فى تنزيه الخالق أرجو أن يحقق المقصود منه ، وهو مساعدة المسلمين فى تصورهم للتوحيد النقى والصافى ، البعيد عن التوهم والتصور الردئ للألوهية ، والله الموفق [٣] .

* * *

---

(٢) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) الجوينى : الإرشاد ، ص ١٦٩ .

(٤) السابق : ص ١٧٠ .

obeikandl.com